أبو عبد الرحمن السلمي

ذكر آداب الصوفية في إتيانهم الرخص ت ناديا زيدان

٤١٢ هـ

رقم الكتاب في المكتبة الشاملة: ٧٦٥١
الطابع الزمني: ٢٠٢٢-٠٤-١٨-٠٣-٥٢-٣٨
المكتبة الشاملة رابط الكتاب

المحتويات

١ یادداشت ٥
١.١ نسخه خطی ٥
٢ ذکر آداب الصوفیة في إتیانهم الرخص ٥
٢.١ فصل ذکر آدابهم في المحبة ١٠
٢.٢ فصل المقامات والأحوال ١٣

عن الكتاب

الكتاب: ذكر آداب الصوفية في إتيانهم الرخص
(مطبوع ضمن مجموعه آثار أبو عبد الرحمن سلمي)
المؤلف: محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن خالد بن سالم النيسابوري، أبو عبد الرحمن السلمي (المتوفى: ٤١٢ هـ)
المحقق: ناديا زيدان
الناشر: مؤسسه پژوهشي حكمت وفلسفه إيران، تهران - إيران، ومؤسسه مطالعات إسلامي دانشگاه آزاد برلين، برلين - آلمان
الطبعة: الأولى، ١٣٨٨ هـ ش= ٢٠٠٩ م
عدد الأجزاء: ١
[ترقيم الكتاب موافق للمطبوع وهو مذيل بالحواشي]

عن المؤلف

أبو عبد الرحمن السلمي (٣٢٥ - ٤١٢ هـ = ٩٣٦ - ١٠٢١ م)
محمد بن الحسين بن محمد بن موسى الأزدي السلمي النيسابوري، أبو عبد الرحمن: من علماء المتصوفة.
قال الذهبي: (شيخ الصوفية وصاحب تاريخهم وطبقاتهم وتفسيرهم، قيل: كان يضع الأحاديث للصوفية).
بلغت تصانيفه مئة أو أكثر، منها (حقائق التفسير - خ) مختصر، على طريقة أهل التصوف، في المكتبة المحمودية بالمدينة (٥٢ تفسير) كما في مجلة المجمع (٤٩: ٧٣) و (طبقات الصوفية - ط) و (مقدمة في التصوف - خ) رسالة، و (مناهج العارفين - خ) و (رسالة في غلطات الصوفية - خ) و (رسالة الملامتية - ط) و (آداب الفقر وشرائطه - خ) و (بيان زلل الفقراء ومناقب آدابهم - خ) و (الفتوة - خ) و (آداب الصحبة - ط)
و (السؤالات - خ) و (سلوك العارفين - خ) و (عيوب النفس ومداواتها - ط) و (الفرق بين الشريعة والحقيقة - خ) و (آداب الصوفية - خ) و (كتاب الاربعين في الحديث - ط) و (درجات المعاملات - خ).
مولده ووفاته في نيسابور.
نقلا عن : الأعلام للزركلي

۱ یادداشت

۱۸. ذكر آداب الصّوفيّة في إتيانهم الرّخص
تصحیح
نادیا زیدان
یادداشت
در مقدمهء جلد دوم مجموعهء آثار ابو عبد الرحمن سلمی خاطرنشان کردیم که خانم نادیا زیدان) aedaN nadieZ (در سال ۱۹۷٤ در مدرسهء عالی سوربن از رساله ای دفاع کرده که شامل تصحیح وترجمهء شش اثر سلمی بدین شرح بوده است: ۱. «درجات المعاملات»؛ ۲. «آداب الفقر وشرائطه وما يجب على الفقير أن يعتمده»، ۳. «ذكر آداب الصّوفيّة في إتيانهم الرّخص»؛ ٤. «مسألة درجات الصّادقين في التّصوّف»؛ ٥. «سلوك العارفين»؛ ٦. «الفرق بين علم الشّريعة والحقيقة».
از مجموع شش رسالهء فوق، رسالهء اول در جلد اول مجموعهء آثار (ص ٥٠٢ - ٤٦٥) با تصحیح مرحوم احمد طاهری عراقی؛ ورساله های چهارم وپنجم وششم در همین جلد با تصحیح کنث هنرکامپ وسلیمان آتش ومحمد سوری چاپ شده است. همچنین رسالهء دوم (آداب الفقر وشرائطه وما يجب على الفقير أن يعتمده) در واقع بخشی از رسالهء پنجم (سلوك العارفين) است که نادیا زیدان به غلط آن را رساله ای مستقل انگاشته است. فقط می ماند رسالهء سوم که اگر از آن هم تصحیح بهتری وجود داشت، مسلّما از آن استفاده می کردیم. ما کوشیدیم تا اغلاط متن زیدان را به طور قیاسی وبا حدس وگمان خود تصحیح کنیم. خوشبختانه اشعار را که اکثرا از لحاظ وزن وقافیه اشکال داشت، به یاری

۱۰۱ نسخه خطی

منابع دیگر اصلاح کردیم، ولی دربارهء خود متن مشکلات هنوز باقی مانده است. خانم زیدان نسخهء خطی مورد استفادهء خود را بدین گونه وصف کرده است:
نسخه خطی
این رساله در مجموعهء خطی شمارهء ۱۷۳۵ در کتابخانهء عمومی رباط قرار دارد. در این مجموعه تفسیر ابن عجیبه (۱۱٦۱/ ۱۱٦۰ - ۱۲۲٤) بر اشعار منسوب به جنید بغدادی (ص ٥۳ تا ۷۰) وشعری از شاعری ناشناخته وقصیدهء رائیهء ابو مدین (ص ۹۷ تا ۱۰۷) وقصیدهء مفصل نونیهء شوشتری (ص ۱۰۸ تا ۱۷۰) قرار دارد. در این مجموعه، آثار دیگری است، از جمله شرح یوسف السنوسی بر شعری متعلق به شاعری ناشناخته (ص ۸۰ تا ۸۲)، ورساله ای از عبد الوهاب بن احمد بن علی الانصاری با عنوان «آداب المرید الصادق» (ص ۸۲ تا ۹٦)، ورسالهء سلمی با عنوان «ذكر آداب الصوفية في إتيانهم الرخص» (ص ۱۸٥ تا ۱۹٥). مانند رساله های دیگر، این رساله نیز به خط مغربی است که خواندن آن دشوار است. مجموعه بدون تاریخ است، ولی آخرین رساله که به خط کاتب دیگری است در تاریخ ۱۸٥۱/ ۱۲٦۷ کتابت شده است. تا آنجا که به رسالهء سلمی مربوط می شود، متأسفانه پر از غلط است. احادیث ونقل قولهای دیگر نیز غلط ضبط شده وغلطهای نحوی هم زیاد دارد. اینها همه مشکل تصحیح این متن از روی خط مغربی را دشوارتر کرده است.

۲ ذكر آداب الصوفية في إتيانهم الرخص

ذكر آداب الصّوفيّة في إتيانهم الرّخص
قال الشّيخ الفقيه الإمام
أبو عبد الرّحمن محمّد بن الحسين السّلمي
رحمه الله تعالى ورضي عنه
ذكر آداب الصّوفية في إتيانهم الرخص

كما قال صلّى الله عليه وسلّم: «إنّ الله يحبّ أن تؤتى رخصه كما يحبّ أن تؤتى عزائمه». وسأل عمر بن الخطّاب رضي الله عنه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «ما لنا نقصر الصّلاة وأمرنا بإتمامها؟» فقال صلّى الله عليه وسلّم: «صدقة تصدّق الله بها عليكم، فاقبلوا صدقته». والرّخصة منها ما ١ يرد عليه المبتدي من المريدين، ويتحيّر إليه المتوسّط من السّالكين، ويستريح إليه العابد من العارفين، ولا يستوطن فيه المحقّقون، لأنها واد مسبعة، كثيرة الآفات، إلاّ على نيّة الرّحيل اضطرارا. «من يرتع إلى جانب الحمى يوشك ان يواقع الحمى. وإنّ حمى الله محارمه». ٢ وكلّ من انحطّ من درجة الحقيقة وقع على صرف الرّخصة. ومن سقط منها وقع في الضّلالة والجهل. قال الله تعالى: {فَما ذا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلالُ} (١٠: ٣٢).

---

١. في الأصل: - ما.

٢. انظر المعجم المفهرس للحديث ٥١٩/ ١: «ألا حمى الله في أرضه محارمه».

والترخّص في مذهب الصّوفيّة هو الرّجوع عن حقيقة العمل إلى ظاهر العلم، وذلك نقص في حالهم. سئل بعض الشّيوخ عن سوء أدب الفقير، فقال: «انحطاط عن درجة الحقيقة إلى الظّاهر». ولذلك قال ذو النّون: «رياء العارفين إخلاص المريدين». وسئل ذو النّون عن المقرّبين، فقال: «حسنة الأبرار سيّئة المقرّبين». وقوله صلّى الله عليه وسلّم: «من تشبّه بقوم فهو منهم» أراد التّشبّه بسيرتهم لا بلبسهم، لانّه روي عن النّبي صلّى الله عليه وسلّم أنّه قال: «من تهيّأ للنّاس بقوله ولسانه وخالف ذلك عمله، فعليه لعنة الله والملائكة والنّاس أجمعين».

ثمّ إنّ لهم في رخصهم آدابا وأخلاقا يحتاج المترخّص إلى معرفتها والتّمسّك بها، ليكون مترسّما برسمهم، ومتحلّيا بحليتهم إلى أن يبلغ مقامات المحقّقين.

(١) فمن رخصهم اتّخاذ الصّنعة والاستناد إلى العلوم. وآدابهم في ذلك ألاّ يتملّكها بل يجعلها في المصالح، ولا يزد على نفقة سنة له ولعياله ولمن يمونه اقتداء برسول الله صلّى الله عليه وسلّم. روي عن عمر رضي الله عنه أنّه قال: «كان أموال بني ١ النّضير ممّا أفاء الله على رسوله ما لم يوجف عليه المسلمون بخيل ولا ركاب، فكانت خاصّة للنّبي. فكان ينفق منها على أهله نفقة سنة، وما بقي يجعله في الكراع والسّلاح في سبيل الله». ٢

(٢) ومنها الاشتغال بالكسب لصاحب العيال أو الدّين. وآدابهم في ذلك ألاّ يشغلهم ذلك عن ٣ أداء الفريضة في أوقاتها ولا يراه سببا للرّزق بل هو معونة للمسلمين، ولا يشغل بذلك أكثر أوقاته بل يجتهد أن يجعل أوقات كسبه من وقت الضّحى إلى أوّل صلاة العصر، ثمّ يرجع إلى أصحابه فيصلّي معهم الخمس في ضحوة الغد، أو إن فضل من كسب نفقة عياله شيء آثر به الفقراء والمساكين.

(٣) ومنها السّؤال. وآدابهم في ذلك ألاّ يسأل إلاّ في وقت الحاجة قدر الكفاية لمن يمونه، ولا يبذل وجهه لمن يهون عليه ردّه. قال صلّى الله عليه وسلّم: «إذا سألت فسل الصّالحين وتلطّف في السّؤال من غير تواضع». فقد روي عن النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم >أنّه< قال:

---

١. في الأصل: - بني.

٢. انظر صحيح مسلم، ١٥١/ ٥.

٣. في الأصل: على.

«لعن الله فقيرا تواضع لغني من أجل غناه». روي عن جعفر الصّادق رضي الله عنه أنّه قال:

لا تخضعنّ لمخلوق على طمع ... فإنّ ذلك وهن منك في الدّين

واستغن بالله عن دنيا الملوك كما اسـ ... ـتغنى الملوك بدنياهم عن الدّين

واسترزق الله ممّا في خزائنه ... فإنّ ذلك بين الكاف والنّون

وما يحصل بسؤاله لا يدعه في ملكه، بل يسلّمه إلى عياله ليفرغ قلبه عن شغلهم. ولا ينفقه بالتّرف، ولا يجعل السّؤال عادة ومعلوما له.

(٤) ومنها الاستدانة عن الله تعالى. وآدابهم في ذلك أن يكون للمصالح وللإخوان، وعند الضّرورة عن الاهتمام بالتّأدية. روي عن النّبي صلّى الله عليه وسلّم أنّه قال: «من أدان دينا وهو ينوي أداءه وقضاءه ومات ولم يترك وفاء قضى الله تعالى لغريمه يوم القيامة».

(٥) ومنها حمل الزّاد في الأسفار. وآدابهم في ذلك ألاّ يخل على من في صحبته ممّن يحتاج إليه. روي عن النّبي صلّى الله عليه وسلّم أنّه كان في غزوة فأمر أن ينادى: «ألا من كان معه فضل زاد فليعد به على من لا زاد له. ألا من كان له فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له». يذكر في الأصناف ما ذكر حتّى ظننّا أنّه ليس لنا في الفضل الّذي في أيدينا حقّ ليس لغيرنا.

(٦) ومنها الحجّ عن الغير بالأجرة. وآدابهم في ذلك ألاّ يفعل ذلك إلاّ عند الضّرورة، ثمّ يجعل نفقته في ذهابه وإقباله من ذلك لا من السّؤال ولا من الأوقاف. قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «من حجّ عن ميّت كتب الله للميّت حجّة وللحاجّ براءة من النّار».

(٧) ومنها الأسفار والدّوران في البلدان. وآدابهم في ذلك كأن يجعل قصده زيارة أخ أو استجلالا أو طلب علم، ثمّ يحصن في السّفر عرضه.

(٨) ومنها السّماع. وآدابهم في ذلك مراعاة الوقت وترك المداخلة والمزاحمة مادام الوقت جدا. وإذا كان الوقت جيّدا يجوز ذلك على سبيل المساعدة والفسحة.

(٩) ومنها المزاح. وآدابهم في ذلك ترك الكذب والغيبة والمحاكاة والسّخف وما يذهب بالمروءة. قال النّبي صلّى الله عليه وسلّم: «إنّ الله لا يؤاخذ المازح الصّادق في مزحه». وعن علي رضي الله عنه، أنّه قال: «كان النّبي صلّى الله عليه وسلّم يمسّ الرّجل من الصّحابة إذا
رآه مغموما بالملاعبة ويكره الإكثار منه خاصّه لذوى السّيّئات». فقد قيل: «لا تمازح الشّريف لئلاّ يحفظ ١ عليك، ولا الزّاني لتجرئه عليك». كان النّبي صلّى الله عليه وسلّم لا يلتفت إلى الصّحابة مخافة أن يراهم يتمزّحون فيمترون.

(١٠) ومنها إظهار الطّاعات والعبادات. وآدابهم في ذلك أن يكون إظهارها ليتأدّب به مريد أو يقتدي به مبتدئ، ولا يلتفت إلى قبول الخلق وردّهم. سئل النّبي صلّى الله عليه وسلّم على الجهر بالقراءة والإخفاء، فقال: {إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقاتِ فَنِعِمّا هِيَ وإِنْ تُخْفُوها وتُؤْتُوهَا الْفُقَراءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ} الآية (٢: ٢٧١). قلت: هذا في الفرائض والنّوافل، فأمّا الفرائض فلا خلاف بين أهل العلم أنّ إظهارها أولى.

(١١) ومنها التبرّز للنّزهة. كان النّبي صلّى الله عليه وسلّم يعجبه النّظر إلى الخضرة والماء الجاري.

(١٢) ومنها النّظر إلى الملاهي. وآدابهم في ذلك مجانبة المحرّمات والمنكرات منها، فما حرم فعله حرم النّظر إليه. روي عن عائشة رضي الله عنها أنّها «كانت الحبشة تلعب بالدّفّ وأنا أنظر إليهم من باب حجرتي ورسول الله صلّى الله عليه وسلّم يسترني بردائه، فلم ينصرف حتّى ما ٢ كنت أنا الّتي انصرفت».

(١٣) ومنها المجالس الّتي يكثر فيها الخوض في ترّهات الكلام. وآدابهم في ذلك اجتناب سماع الغيبة والمنكر. روي عن جابر بن سمرة، قال: «جالست النّبي صلّى الله عليه وسلّم أكثر من مئة مرّة. كان أصحابه يتناشدون الشّعر ويتذاكرون من أمر الجاهلية وهو ساكت وربّما تبسّم معهم».

(١٤) ومنها تناول الأطعمة الطّيّبة. وآدابهم في ذلك ألاّ يتّخذوه عادة بل يكون ذلك من فاقة ورياضة لاحقة ليسلم له ذلك. روي عن علي رضي الله عنه أنّه قال: «كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يعجبه الثّريد». روي أنّه كان يعجبه الطّيب والحلو، فلا يردّهما حتّى يمسّ منها. وقال صلّى الله عليه وسلّم: «انهشوا اللّحم نهشا فإنّه أهنى وأمرأ». قال صلّى الله

---

١. في الأصل: ليحفظ.

٢. في الأصل: حتما.

عليه وسلّم: «سيّد طعام أهل الجنّة اللّحم وسيّد طعام أهل الدّنيا اللّحم».

(١٥) ومنها رهن الثّياب على الطّعام. وآدابهم في ذلك ألاّ يكون إلاّ عند الضّرورة.
(١٦) ومنها الهروب من الإخوان ومن تحمّل الأذاء والجفاء. وآدابهم في ذلك طلب سلامة الصّدور واجتناب المعاداة. قال بعض المشايخ: «الفرار ممّن لا يطاق من سنن المرسلين. قال الله تعالى حاكيا عن كليمه موسى عليه السّلام: {فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا} (٢٦: ٢١)». وقال الشّافعي: «أظلم الظّالمين لنفسه من تواضع لمن لا يكرمه ورغب في مودّة من لا ينفعه». وقيل: «مدح من لا يعرفه».
(١٧) ومنها الانبساط إلى الأصدقاء في قصد منازلهم والإلمام بهم من غير استدعاء. وآدابهم في ذلك تخصيص من يفرح بذلك ويعرف موقع ذلك من الإكرام. قصد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم دار الهيثم بن ... ١ ومعه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما. فقدم إليهم ما حضر من تمر ولبن، فأكلوا وشربوا وقال: «هذا من النّعيم الّذي تسألون عنه».
(١٨) ومنها المعاتبة مع الإخوان. وآدابهم في ذلك إزالة ما وجد عليه من قلبه من التّكفّي، بل يطهّر القلب من الغلّ والحقد وقبول عذر صاحبه. وقيل: «ظاهر العتاب خير من مكنون الحقد».
(١٩) ومنها مدح المذموم وذمّ المحمود. وآدابهم في ذلك أن يحفظ حدود الحقّ في الجانبين ولا يتجاوز إلى معاتبة النّفس. روي أنّ رجلين من سادات العرب حضرا مجلس رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فمدح أحدهما صاحبه وأطرأه وقصده لحبّه في تطرئته فوجد عليه من ذلك. قال: وأخذ يذكر مثالبه. فأنكر النّبي صلّى الله عليه وسلّم ذلك منه، فقال: «يا رسول الله، لئن صدقت في الأولى، فما كذبت في الثانية. والإنسان لا يخلو من مثالب ومناقب. والراضي لمن يرى المثالب، والسّاخط لا يرى المناقب». فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «أمن البيان؟»
(٢٠) ومنها هجران من يستحقّ ذلك. وآدابهم في ذلك فيه أن يقصدوا إظهار الحقّ

---

١. ناقص في الأصل.

وتمحيق الباطل ١ والمعاداة في الله تعالى. هجر النّبي صلّى الله عليه وسلّم كعب بن مالك وصاحبيه لتخلّفهم عن غزوة تبوك وأمر أصحابه بهجرانهم وترك مجالستهم ومكالمتهم حتّى {ضاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِما رَحُبَتْ وضاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ} (٩: ١١٨).
(٢١) ومنها تخريق المرقّعات على أصحابها المزورين. وآدابهم في ذلك يقصد بيان ٢ تمويهه وخيانته وخديعته وتلبيسه. قال الله تعالى: {ولا تَتَّخِذُوا أَيْمانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِها} (١٦: ٩٤)، أي مكرا وخديعة. ومنزلتها منزلة الشّعر المزور على منتحل نسب الشّرف وأنّه من العلويّة، فيجب إفساد ما ادّعاه من النّسب لئلاّ يغترّ بهم من لا يعرفهم. أمر النبي صلّى الله عليه وسلّم بهدم المسجد الّذي اتّخذوه ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وأحرقه لما علم قصدهم في اتّخاذه وإن كان ظاهرا مسجدا لله. قال الله تعالى: {لا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا} (٩: ١٠٨). وأمر بقطع نخل بني النّضير، فأنزل الله تعالى: {ما قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوها قائِمَةً عَلى أُصُولِها فَبِإِذْنِ اللهِ وَلِيُخْزِيَ الْفاسِقِينَ} (٥٩: ٥).
(٢٢) ومنها استجازة الكذب في المصالح. وآدابهم في ذلك طلب الإصلاح وإظهار الحقّ، كما قال تعالى في قصّة إبراهيم عليه السّلام: {بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هذا} (٢١: ٦٣)، وفي قصّة داوود عليه السّلام {إِنَّ هذا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً} (٣٨: ٢٣). حكي أنّ جعفر الصّادق ناظر مرجئا عند أبي جعفر المنصور، فقال جعفر: «أوتي النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم بمرجئ فأمر بقتله»، فقال المرجئي مجيبا ٣ له: «وأين كان المرجئون على عهد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم؟ وقد قال: "من كذب عليّ متعمّدا فليتبوّأ مقعده من النار"». فاحتجّ جعفر بقصّة إبراهيم عليه السّلام، فانقطع المرجئي.
(٢٣) ومنها زيارة العجائز. وآدابهم في ذلك أن يكون قصده التّقرّب ٤ إلى الله تعالى والتّزاور فيه وطلب البركة والدّعاء. روي عن أبي بكر الصّدّيق رضي الله عنه أنّه قال: «قوموا زوروا أمّ أيمن كما كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يزورها».

(٢٤) ومنها التّكلّف لأبناء الدّنيا والرّؤساء والسّلاطين والقيام لهم وحسن الإقبال

---

١. في الأصل: الحقّ.
٢. في الأصل: - بيان.
٣. في الأصل: موجبا.
٤. في الأصل: التبرّك.

عليهم. وآدابهم في ذلك ألاّ يكون ذلك طمعا منهم في دنياهم ولا لاتّخاذ جاه عندهم. كان النّبي صلّى الله عليه وسلّم يدخل عليه سادات العرب فيكرمهم ويحبّهم ويحسن مجالسهم، وقال: «إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه».

(٢٥) ومنها البكاء عند المصيبة. وآدابهم في ذلك أن يكون ذلك من غير نوح ولا رفع صوت. بكى النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم عند موت ابنه إبراهيم وقال: «العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول ما يسخط الرّبّ تعالى، وأنا بك يا إبراهيم لمحزون».

(٢٦) ومنها محبّة الأحداث. وآدابهم في ذلك ما قد مضى ذكره في باب آداب الصّحبة. ١

(٢٧) ومنها إظهار البشرة مع من يكرهه قلبه. وآدابهم في ذلك أن يكون القصد فيه طلب السّلامة لا رياء ولا سمعة ولا بغاء. روت عائشة رضي الله عنها أنّ رجلا استأذن على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وأنا عنده، فقال: «بئس ابن العشيرة أو أخو العشيرة»، ثمّ أذن له. فلمّا دخل لان له الكلام. فتعجّبت من ذلك، فقال: «يا عائشة، إنّ من شرّ النّاس من يكرمه النّاس اتّقاء شرّه». وأنشد الشّافعي رضي الله عنه:

لمّا عفوت ولم أحقد على أحد ... أرحت نفسي من همّ العداوات
إنّي أحيّي عدوّي عند رؤيته ... لأدفع الشّرّ عنّي بالتّحيّات
وأظهر البشر للإنسان أبغضه ... كأنّه قد ملا قلبي محبّات

(٢٨) ومنها مقاربة أوباش النّاس على أفكارهم ومقدار عقولهم. والأدب في ذلك طلب السّلامة من غوائلهم.

(٢٩) ومنها الاعتضاد بالسّفهاء للمهبات ودفع المضرّات. وآدابهم في ذلك أن يقصدوا بذلك حياة نفيسة وما أنفسه عن مزاحة أشكاله. قال الأحنف بن قيس: «أكرموا سفهاءكم فإنّهم يقوكم العار والنّار». وروي عن ابن ميران، قال: «كان ابن عمر يعجبه أن يصحبه سفيه ليردّ سفه السّفيه به». وأنشدوا:

تعدو الذّئاب على من لا كلاب له ... وتتّقي مربض المستنفر الحامي ٢

---

١. في الأصل: الصّحابة.
٢. للنّابغة. انظر طبقات فحول الشّعراء (طبعة المعارف) ص ٤٧.

(٣٠) ومنها ذكر من فيه عيب بما يكره. وآدابهم في ذلك ألاّ يذكر من عيوب النّاس إلاّ ما اشتهر لئلاّ يكون هتك حرمته المستورة. وعن عائشة رضي الله عنها أنّها كانت عند رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فدخل عيينة بن حصين من غير إذن، فقال: «أين الاستئذان؟» فقال: «ما استأذنت على رجل من مضر منذ أدركت». فلمّا خرج، قلت: «من هذا؟» قال: «أحمق مطاع». وقال صلّى الله عليه وسلّم: «المستشير أمير المخاطبين. أمّا فلان فشيخ لا يضع عصاه من عنقه». قال صلّى الله عليه وسلّم: «إنّ صفوان خبيث اللّسان طيّب القلب».

(٣١) ومنها مؤاساة الشّعراء وأمثالهم. وآدابهم في ذلك أن يقصد صيانة عرضه وسلامة دينه منهم لما نصوا عليه. قال النّبي صلّى الله عليه وسلّم: «ما وقى به الرّجل عرضه فهو صدقة». روي أنّ بعض الشّعراء حضر عند النّبي صلّى الله عليه وسلّم فأنشد شعرا ذكر فيه قسمة غنائم حنين وقال:

أتقسم نهبي ونهب العبيـ ... ـد ما بين حلبس والأقرع؟ ١

فقال النّبي صلّى الله عليه وسلّم: «اقطعوا عنّي لسانه»، فأعطي خمس من الإبل.
(٣٢) ومنها قطف الثّمار. وآدابهم في ذلك فيه مجانبة الشّره وأن يقصد إدخال السّرور على صاحبه. روى معاذ بن جبل رضي الله عنه، قال: شهدت ملاك رجل من الأنصار مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فخطّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، ثمّ قال: «على الألفة والخير والطّائر الميمون، دفعوا على رأس صاحبكم». وأقبلت السّلال فيها الفاكهة والسّكّر فنثرت عليهم. فأمسك القوم ولم يشبعوا، فقال صلّى الله عليه وسلّم: «ما أرين الحلم ألاّ تنهبوه». فقالوا: «يا رسول الله، إنّك نهيت عن الانتهاب يوم كذا». فقال: «إنّما نهيتكم عن نهب العساكير ولم أنهكم عن نهب الولائم». ثمّ قال: «ألا فانتهبوا». قال معاذ: «ولقد رأيته يجرّنا ونجرّه في ذلك النّهب».
(٣٣) ومنها الافتخار وإظهار الدّعوى. وآدابهم في ذلك أن يقصد إظهار نعم الله عليه.

---

١. كذا. انظر المعجم المفهرس للحديث، ٥/ ٧: أ تجعل نهبي ونهب العبيد بين عيينة والأقرع.

٢٠١ فصل ذكر آدابهم في المحبة

قال تعالى: {وأَمّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ} (٩٣: ١١). ويكون ذلك من غلبة الحال. قال صلّى الله عليه وسلّم: «أنا سيّد ولد آدم ولا فخر. آدم فمن دونه تحت لوائي. لو كان موسى حيّا ما وسعه إلاّ اتّباعي». وكان إذا رجع إلى نفسه يقول: «أنا ابن امرأة تأكل القديد. إنّما أنا عبد آكل كما يأكل العبد». وروي أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لمّا أتاه وفد بني تميم فقام خطيبهم ليفاخر، دعا ثابت بن قيس وكان خطيبه فأجاب خطيبهم وغلبهم، ودعا حسّان بن ثابت فأجاب شاعرهم، وذكر في قصيدته فأعجزوا عنه، فقال النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم: «لقد كنت غنيّا عن هذا يا أخا دارم». فقد كان قوله صلّى الله عليه وسلّم أشدّ من قول حسّان، فقاموا مغلوبين مقهورين.
(٣٤) ومنها الحرج والذّحر عند وجود المحال وما لا يحبّ احتماله قولا وفعلا. وآدابهم في ذلك أن يجتنب الفحش والبذاء ويحفظ حدود الله ولا يتجاوزها إلى الظّلم، فإنّ الغضب إذا استولى غلب العقل. قال الله سبحانه: {لا يُحِبُّ اللهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاّ مَنْ ظُلِمَ} (٤: ١٤٨). قال صلّى الله عليه وسلّم: «من استخر مؤمنا فعليه وزره»، وقال الشّافعي: «من استغضب ولم يغضب فهو حمار». قال الله تعالى: {والَّذِينَ إِذا أَصابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ} (٤٢: ٣٩)، وقال تعالى: {ولَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولئِكَ ما عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ} (٤٢: ٤١). ويجتهد ألاّ يغضب لنفسه بل يكون ذلك لغيره، للحقّ وللإخوان. روي أنّ النّبي صلّى الله عليه وسلّم لم ينتقم من عند نفسه قطّ إلاّ أن تهتك محارم الله فينتقم لله. وقيل لبعض العلماء:
«إنّك تحتمل في نفسك ولا تحتمل في صديقك؟» فقال: «إنّ احتمالي في نفسي حلم واحتمالي في صديقي لوم».
فصل
ذكر آدابهم في المحبّة ١
(١) قال الله تعالى: {وأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ ما فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ما أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ} (٨: ٦٣). قال النّبي صلّى الله عليه وسلّم: «المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص»،

---

١. كذا في المخطوطة ولعلّها «الصّحبة».

وقال صلّى الله عليه وسلّم: «المرء على دين خليله»، وقال صلّى الله عليه وسلّم: «المؤمن الّذي يخالطه النّاس ويصبر على أذاهم خير من المؤمن الّذي لا يخالطه النّاس ولا يصبر على أذاهم»، وقال صلّى الله عليه وسلّم: «لا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف»، وقال مالك بن دينار: «كلّ صاحب لا تستفيد منه خيرا فانبذ عنك صحبته». ولا يصحب من خالفه باعتقاده وإن كان قريبا منه. ألا ترى إلى نوح عليه السّلام قال: {رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي} (١١: ٤٥)، كيف أجيب: {إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ} (١١: ٤٦). وقال تعالى: {لا تَجِدُ

قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ والْيَوْمِ الْآخِرِ يُوادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ ورَسُولَهُ ولَوْ كانُوا آباءَهُمْ أَوْ أَبْناءَهُمْ أَوْ إِخْوانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ} (٥٨: ٢٢) بل يصحب من يثق بدينه ومذهبه. قال تعالى: {يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وعَدُوَّكُمْ أَوْلِياءَ} (٦٠: ١).

(٢) ومن آدابهم القيام بخدمة الإخوان والأصحاب ورفع المؤنة عنهم واحتمال أذاهم وترك الإنكار عليهم إلاّ فيما يخالف الشّرع ويعرف لكلّ واحد قدره على مرتبته. قال سفيان بن عيينه: «من جهل قدر النّاس فهو بقدر نفسه أجهل»، وقال: «لا يستخفّ قدر الرّجال إلاّ من لا قدر له». ويدلّه على عيوبه وعلى ما فيه صلاحه. قال صلّى الله عليه وسلّم: «المؤمن مرآة المؤمن».

(٣) ومن الأدب أن يصحب كلّ واحد على قدر حاله وما يليق به من الموافقة وبذل المعروف والإحسان. والقيام بخدمة أستاذه واجب، والصّبر تحت حكمه وترك مخالفته ظاهرا وباطنا وقبول قوله والرّجوع إليه في جميع ما يعرض له، والتّبرّك به واتّباع كلامه وتعظيم حرمته ومجانبة الأفكار عليه في شيء من أموره سرّا وجهرا. قال تعالى: {فَلا ورَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتّى يُحَكِّمُوكَ فِيما شَجَرَ بَيْنَهُمْ} (٤: ٦٥).

(٤) وتكره صحبة الأحداث لما فيها من الآفات. ومن ابتلي بذلك صحبهم على شرط السّلامة وحفظ قلبه وجوارحه عنهم وحملهم على الرّياضة والتّأديب ومجانبة الانبساط. قال بعض المشايخ: «رغبة الصّغار في صحبة الكبار توفيق وفطنة، ورغبة الكبار في صحبة الصّغار خذلان وحمق».

(٥) ثمّ أوّل الصحبة معرفة، ثمّ مودّة، ثمّ ألفة، ثمّ عشرة، ثمّ صحبة، ثمّ أخوّة. وقيل: «غذاء النّفوس في العشرة وغذاء القلوب في المحبّة». والصّحبة لا تكون إلاّ باتّفاق البواطن. قال الله تعالى: {تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وقُلُوبُهُمْ شَتّى} (٥٩: ١٤). والصّحبة إذا صحّت شرائطها فإنّها أجلّ الأحوال. ألا ترى أنّ الصّحابة رضي الله عنهم كانوا أجلّة العلماء والفقهاء والعبّاد والزّهّاد والمتوكّلون؟ فلم ينسبوا إلى شيء من ذلك غير الصّحبة الّتي هي أعلاها.

(٦) ومن آدابهم ألاّ يجري في حديثهم «هذا لي» و «هذا لك» و «إن كان كذا لم يكن كذا» و «لعلّ» و «عسى» و «لم فعلت» و «لم لا تفعل» وما يجرى مجراها، فإنّها من أخلاق العوامّ.

(٧) ومن آدابهم إذا اجتمعوا أن يقدّموا أحدهم لتكون مراجعتهم إليه واعتمادهم عليه، ويكون أرجحهم عقلا، ثمّ أكبرهم همّة، ثمّ أعلاهم حالا، ثمّ أعلمهم بالمذهب، ثمّ أسنّهم. قال النّبي صلّى الله عليه وسلّم: «يؤمّ القوم أقرؤهم كتاب الله، فإنّ استووا فأفقههم في الدين، فإن استووا فأسنّهم، فإن استووا فأقدمهم هجرة». كان النّبي صلّى الله عليه وسلّم يقدّم أهل بدر على سواهم. روي أنّه كان جالسا في صفّة ضيّقة، فجاء قوم من البدريّين فلم يجدوا موضعا يجلسون فيه، فأقام النّبي صلّى الله عليه وسلّم من لم يكن من أهل بدر من ذلك المجلس فجلسوا مكانهم. فاشتدّ عليهم، فأنزل الله تعالى: {وإِذا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ} (٥٨: ١١). ثمّ أحسنهم خلقا، ثمّ أقدمهم، ثمّ أتمّهم أدبا، ثمّ أسبقهم بلقاء المشايخ. قيل: «إذا صحبت إنسانا فانظر عقله أكثر من دينه، فإنّ دينه له وعقله لك وله، ولا تصحب من كان أكبر همّه الدّنيا والنّفس والهوى». قال الله تعالى: {فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلّى عَنْ ذِكْرِنا ولَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَياةَ الدُّنْيا} (٥٣: ٢٩). سئل ١ أبو عثمان الحيري عن الصحبة، فقال: «أن توسّع على أخيك من مالك ولا تطمع في ماله، وتنصفه ولا تطلب منه الإنصاف، وتكون تابعا له ولا تطلب له أن يكون لك تابعا، وتستكثر ما إليك وتستقلّ ما منك إليه». وقيل: «الشّرف في ثلاث خصال: إجلال الكبير ومداراة الصّغير ورفع النّفيس عن الحقير». وقيل: «الجلساء ثلاثة: جليس مستفيد منه فلازمه، وجليس تفيده فلازمه، وجليس لا تستفيد منه ولا تفيده فاهرب منه». قيل: «مجالسة العلماء للاستفادة ومجالسة

---

١. في الأصل: قال.

النّظراء للمذاكرة ومجالسة الموتى هو الوبال بكلّ حال». وقيل: «ليس أحد أبعد من الخير منزلتهما واحدة وصفاتهما مختلفة: أحدهما من لم يثق بأحد، والثاني من لا يثق به >أحد <».

(٨) ومن آدابهم ترك النّيّة والصّولة. وقال بعضهم: «من ولّي ولاية فتاه فيها أخبر أنّ قدره دونها، ومن تواضع فيها أخبر أنّ قدره

فوقها». وقيل: «عجب المرء من نفسه أحد حسّاد عقله». قال تعالى: {تِلْكَ الدّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُها لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ ولا فَسادًا} (٢٨: ٨٣). وليحذر المتأدّب أن يحقر أحدا من المسلمين، فقد روي عن النّبي صلّى الله عليه وسلّم أنّه قال: «حسب المرء المؤمن من الشّرّ أن يحقر أخاه المسلم». وقال صلّى الله عليه وسلّم: «من استذلّ مؤمنا أو مؤمنة أو حقّره لفقره، شهره الله يوم القيامة، ثمّ يقصمه».

(٩) وإذا نزل به أخ من إخوانه أو جماعة قدم إليهم ما حضر من الطّعام قلّ أو كثر. روي عن النّبي أنّه قال: «هلاك المرء أن يدخل عليه رجل فيحقر ما في بيته أن يقدمه إليه، وهلاك القوم أن يحتقروا ما قدم إليهم». وقال صلّى الله عليه وسلّم: «إنّ من مكارم الأخلاق التّزاور في الله وحقّ على المزار أن يقرّب إلى ضيفه ما تيسّر عنده وإن لم يجد إلاّ جرعة ماء». وإن احتشمه أن يقرّب إليه ما تيسّر، لم يزل في مقت الله يومه وليلته. ألا ترى أنّ إبراهيم عليه السّلام لمّا دخل عليه أضيافه المكرمون فما لبث أن {جاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ * فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قالَ أَلا تَأْكُلُونَ} (٥١: ٢٦ - ٢٧).

(١٠) وقيل: ليس بصاحب من إذا قلت له: «قم بنا»، فيقول: «إلى أين؟» ويجتنب البذا والجفا، فإنّه يهيج الغضب. قال الله تعالى: {قَدْ بَدَتِ الْبَغْضاءُ مِنْ أَفْواهِهِمْ وما تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ} (٣: ١١٨). ويجتنب صحبة الأشرار، فقد قيل: «صحبة الأشرار خطر ومن خالطهم فقد بالغ في الغرر، وإنّما مثله كمثل راكب البحر، إذا سلم بدنه من التّلف، لم يسلم قلبه من الحذر». قيل: «من يصحب صاحب سوء لم يسلم، ومن يدخل مدخل سوء يتّهم ١». وقيل: «كلّ واحد يعرف بقرنائه وينسب إلى خلطائه». وقيل: «من الجهل مصاحبة

---

١. في الأصل: لم يتّهم.

ذوى الجهل».

(١١) وسئل بعض المشايخ في أحوال أهل التصوّف، فكلّ واحد أجابه على قدر حاله. فإن كان قديرا أجيب على قدر المذهب من حيث المعاملات، وإن كان متوسّطا أجيب من حيث الأحوال، وإن كان عارفا فمن حيث الحقيقة.

وقال بعض المتأخّرين: التّصوّف أوّله علم وأوسطه عمل وآخره موهبة. فالعلم يكشف عن المرء والعمل يعين على الطّلب والموهبة تبلغ غاية العمل ومنتهى ١ الأمل. وأهله على ثلاث طبقات: مريد طالب ومتوسّط سائر ومنتهى واصل. فالمريد صاحب وقت والمتوسّط صاحب حال والمنتهي صاحب نفس. وأفضل الأشياء عندهم عدّ الأنفاس. فالمريد عندهم متعب في طلب المزاد والمتوسّط بآداب المنازل وهو صاحب تلوين لأنّه يرتقي من حال إلى حال وهو في الزّيادة. والمنتهي الواصل محمول قد جاوز المقامات، وهو محلّ التّمكين لا تغيّره الأحوال ولا تؤثّر فيه الأهوال، كما ذكر في قصّة يوسف الصّدّيق أنّ امرأة العزيز لمّا كانت صاحبة تمكين لم تؤثّر فيها رؤيه يوسف عليه السّلام كما أنزلت في الّتي {قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ} (١٢: ٣١) وهذا قول الدّقّاق. فمقام المريد المجاهدات والمكابدات وتحمّل المشقّات وتجرّع المرارات ومجانبة الحظوظ وما للنّاس فيه متعة، ومقام المتوسّط ركوب الأهوال في طلب المراد ومراعاة الصّدق في الأحوال واستعمال الأدب في المقامات، ومقام>المنتهي< الصّحو والتّمكين، وإجابة من حيث دعي. وقد استوى في حالة الشّدّة والرّخاء، والمنع والعطاء، والجفاء والوفاء، أكله كجوعه، ونومه كسهره، قد >زالت < حظوظه وبقيت حقوقه، ظاهره مع الخلق وباطنه مع الحقّ. وكلّما ذكرت مشهود من حركات النّبي صلّى الله عليه وسلّم في ابتداء أمره وانتهائه، وكذلك الصّحابة رضي الله عنهم كان ابتداء أمرهم المجاهدات والمكابدات، أخذوا بقوله تعالى: {والَّذِينَ جاهَدُوا فِينا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنا} (٢٩: ٦٩). وفي النّهاية أخذوا بقوله تعالى: {لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلى ما فاتَكُمْ} (٥٧: ٢٣). فالمريدون يتفاضلون بالعلم، والمتوسّطون بالأدب، والعارفون بالهمّة. والهمّة ما يبعثك من نفسك على

---

١. في الأصل: ومنها.

٢.٢ فصل المقامات والأحوال

طلب المعاني، «وقيمة كلّ امرئ همّته».

فصل المقامات والأحوال ١

(١) أمّا المقام فإنّه مقام العابد بين يدي الله تعالى في العبادات. قال الله تعالى: {وما مِنّا إِلاّ لَهُ مَقامٌ مَعْلُومٌ} (٣٧: ١٦٤). وأوّلها الانتباه وهو خروج العبد عن حدّ الغفلة. ثمّ التّوبة وهي الرّجوع إلى الله تعالى بعد الذّهاب مع دوام النّدامة وكثرة الاستغفار. ثمّ الإنابة وهي الرّجوع من الغفلة إلى الذّكر. وقيل: التّوبة الرّهبة والإنابة الرّغبة. وقيل: التّوبة ظاهر والإنابة باطن. ثمّ الورع وهو ما يشتبه عليك من محاسبة النّفس وهو ٢ تفقد النّفس من زيادتها ونقصانها، وما لها وما عليها. ثمّ الإرادة وهي استدامة الكدّ وترك الرّاحة. ثمّ الزّهد وهو ترك الحلال من الدّنيا فضلا عن الحرام والعزوب عن ٣ شهواتها. ثمّ الفقر وهو عدم الإملاك وتخلية القلب ممّا خلت منه اليد. ثمّ الصّدق وهو استواء السّرّ مع الإعلان. ثمّ الصّبر وهو حمل النّفس على المكاره وتجرّع المرارات، وهو آخر مقامات المريدين. ثمّ الصّبر وهو ترك الشّكوى. ثمّ الرّضا وهو التّلذّذ بالبلوى. ثمّ الإخلاص وهو إخراج الخلق من معاملات الحقّ. ثمّ التّوكّل وهو اعتماد القلب على الله عزّ وجلّ بإزالة الطّمع عن غيره.

(٢) وأمّا الأحوال فهي معاملات القلوب، وهي ما يحلّ بها من صفاء الأكدار. قال الجنيد رضي الله عنه: «الحال نازلة تنزل بالقلب فلا تدوم». فمن ذلك المراقبة وهي النّظر بصفاء القلب إلى المغيبات. ثمّ القرب وهو جمع الهمّ بين يدي الله تعالى بالغيب عمّا سواه. ثمّ المحبّة وهي مراقبة المحبوب في محبوبه ومكروهه. ثمّ الرّجاء وهو تصديق القلب فيما وعد. ثمّ الخوف وهو مطالعة القلب بسطوات الرّبّ ونقماته. ثمّ الحياء وهو حبس القلب عن ٤ الانبساط، وذلك لأنّ القلب يقتضي هذه الأحوال. فمنهم من ينظر في حال قربه إلى عظمة ربّه وهيبته فيغلب عليه الخوف والحياء، ومنهم من ينظر إلى لطف الله تعالى فيغلب عليه المحبّة والرّجاء. ثمّ الشّوق فهو هيجان القلب عند ذكر المحبوب. ثمّ الأنس وهو السّكون إلى الله تعالى

---

١. في الأصل: - والأحوال.

٢. في الأصل: وهي.

٣. في الأصل: عنها عن.

٤. في الأصل: على.

والاستعانة به في جميع أموره. ثمّ الطّمأنينة وهو السّكون تحت مجاري الأقدار. ثمّ اليقين وهو التّصديق مع ارتفاع الشّكّ. ثمّ المشاهدة وهي فصل بين رؤية اليقين ورؤية العيان، لقوله صلّى الله عليه وسلّم: «كأنّك تراه»، وهو آخر الأحوال. ثمّ تكون فواتح وروائح ومنائح تخفى عليها العبارات، {فَعِنْدَ اللهِ مَغانِمُ كَثِيرَةٌ} (٤: ٩٤)، {وإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لا تُحْصُوها} (١٦: ١٨).

انتهى ما قصدناه من الإمام السّلمي بحمد الله وحسن عونه، وصلّى الله على سيّدنا محمّد وآله. اللهمّ نفّعنا به بجاه نبيّك وحبيبك صلّى الله عليه وسلّم.

***